

من الأدب الفرنسي :

## حين مسلتين

Hostalgies d'Obélisques

للشاعر الفرنسي تيوفيل جوتييه Théophile Gautier

بعد أن تغادر حدائق التويلري، المغروسة أمام متحف اللوفر ترى ميدان الكونكورد أجمل ميادين باريس .

في وسط هذا الميدان الفسيح الحى تنهض إحدى المسلات المصرية، وقد أقيم قريبا منها على الجانبين فوارتان، وإذا أنت وقفت أمام هذه المسلة رأيت عن يمينك la Madeleine، وعن يسارك مجلس نواب فرنسا، مظلا على نهر السين، وأمامك طريقا يصل إلى غابة بولونيا.

منذ زهاء ثلاثة وثلاثين قرنا، أنشأ هذه المسلة وأختها إمبراطور مصر رمسيس الثاني، حيث أقامهما عند باب معبد الأقصر، وقد ظلت المسلتان معا واقفتين أمام هذا المعبد الضخم، حتى القرن الماضي، حينما أهدى محمد علي الكبير إحداهما إلى ملك فرنسا لويس فيليب، وهي القائمة الآن بميدان الكونكورد، وأما المسلة الثانية، فظلت حيث أنشئت وحيدة.

أنشأ الشاعر الفرنسي تيوفيل جوتييه قصيدتين: إحداهما على لسان المسلة الغربية بباريس، والأخرى على لسان المسلة المقيمة بالأقصر.

وتيوفيل جوتييه من أدباء القرن التاسع عشر، ولد في أوائله، وبدأ حياته رساما، ثم ترك ريشة المصور إلى قلم الاديب، غير أنه قد ظل في الادب رساما كذلك

وهو يرى أن من صيغة الادب أن يتنافس الفنون الأخرى كالرسم،

والتصوير، والحفر، فيما تناوله من الموضوعات وقد حقق فكرته في ديوانه Rmax et Camées، فموضوعاته تصوير لما تراه العين، قبل أن تتكون تصوير الإحساس والشعور، فتراها يصور لك فيه مثلاً، ثمّالاً في متحف أو آنية مزخرفة، أو باريس تغطيها الثلوج إلى غير ذلك من مصور تترأها العين.

وهو الذي أذاع نظرية الفن للفن، فأهم شيء عنده هو الجمال النقي والانسحاب أما الفكرة والأخلاق، ففي المرتبة الثانية، ولقد كان قدوة لغيره في استخدام الأساليب الدقيقة المصورة، ولعلنا نوفق يوماً إلى دراسة مذهبه في الفن ونقد هذا المذهب.

ولم يقتصر تيوبيل جو تيبه على قرض الشعر، بل له قصص قصيرة، وروايات مطولة، منها رواية كتبها عن مصر تسمى: قصة الجومياة le Roman de la Momie وصف فيها حياة مصر القديمة ومجدها. ورواية يدور لفسلتين يدور لونه الذي تحدثت عنه، وهما أنذا، أنقلهما إلى اللغة العربية ثراً، محافظاً كل المحافظة على ما قصد إليه الشاعر من أفكار وصور.

- ١ -

### مسلة باريس

١ - في هذا الميدان أتضجر، أنا المسلة المبهمة عن أختها. الجمد، والصقيع والزاد، والمطر، بردت جنبي الذي علاه الصدا.

٢ - وقتي الهرمية العتيقة، التي كانت حجرة في أتون سماء ذات لهب ارتدت بالشحوب، من حنينها إلى الوطن، في جو، لا يورق أبدا.

٣ - أمام النماثيل الضخمة العابسة، وأعمدة بيان الأقصر، لم لا أقب الآن قريبة من أختي ذات اللون الوردى !!

- ٤ - غامسة في الزرقة الدائمة رأسى الهرمية القرمزية ، وكاتبة خط الشمس بظلي قوق الرمال .
- ٥ - مليكي زميس ، كاد الجلود يتصدغ ، يوم تدحرج جسمي الجليل مقتلما ، كعود من عشب . باريس تتخبذه لعبة ا
- ٦ - الديدبان الصخري حارس الأثار الضخمة يقف بين معبد (١)
- كاذب قديم ، وبين مجلس النواب
- ٧ - فوق مقصلة (٢) لويس السادس عشر ، أقيم صخر نسي مغزاه ، وفيه سرى الذى نسي منذ خمسة آلاف عام .
- ٨ - العصافير الطليقة تدنس رأسى ، التى كان يطير مسرعا حولها للقلق الوردى ، والصقر ذو الريش الأبيض والمناسر الذهبية .
- ٩ - نهر السين الأسود ، ماوى مياه الطرقات ، النهر القدر ، المكون من صغار الجداول ، دنس قدمى التى كان يقبلها عند فيضائه النيل والد الأنهار .
- ١٠ - التيل العملاق ذواللحية البيضاء المحفوف بنبات اللوتس والخيزران والذى يصب منبعه المنحدر تماسيح بدل صغار الأسماك .
- ١١ - العجلات الذهبية المطعمه بأصداف كالنجوم ، عجلات الفراعنة العظام الأقدمين كانت تمر بنجاني ، أنا المجروحة الكبرياء بروية عربية الكراء مقلة آخر (٣) ملوك فرنسا .
- ١٢ - قديما أمام حجرى العتيق ، كان الكهنة الأبرار ، قلنسواتهم على جباههم ، يتمشون فى المحراب المقدس الخفى ، ذى الرموز المصورة المذهبة
- ١٣ - أما اليوم فاننا عمود ليست له قداسة الدين ، أقيم بين فوارتين ، وتمر بنى بنت الهوى صريعة فى مركبتها .

(١) مونيه La Madaleine

(٢) تقوم المسلة المصرية بباريس فوق المكان الذى أعدم فيه لويس السادس عشر بالمقصلة .

(٣) مر لويس نيلب

- ١٤ - أرى طول العام مراكب الموسرين ، و(البواب) أتباع سولون (٤) .  
 ذاهبين إلى دار النياحة ، والفجرة منطلقين إلى غابة بولونيا .  
 ١٥ - أفت ، في مائة عام ، أى هياكل عظيمة قبيحة ، سيصير إليها هذا  
 الشعب الماجن المجنون ، الذى يرقد من غير لفائف في لحد يخلقه مسمار .  
 ١٦ - ليس له تحت الأرض مقابر فى مأمن من الفساد ، تلك المرقد  
 التى ينام فيها الموتى جيلا بعد جيل .  
 ١٧ أيتها الأرض المقدسة ، أرض الهيروغليف ، وأرض الأسرار  
 الكهنوتية ، حيث آباء الهول تشخذ مخالبا على زوايا قواعد التائيل .  
 ١٨ - وحيث النواويس ترن تحت الأقدام ، وحيث العقبان تبنى  
 عشاشها . إنى أبكيك يا مصرى القديمة بدموع من (جرانيت) .

- ٢ -

### مسئلة الأقصر

- ١ - هاأنذا أسهر حارسا وحيدا ، لهذا القصر الكبير الحرب ، فى وحدة  
 أبدية ، وأمام اللانهاية .  
 ٢ - إلى أفق لا يحده شئ ، أفق يجذب صامت لانهاية له ، تنشر الصحراء  
 تحت الشمس الحزينة ملاءتها الصفراء .  
 ٣ - وفوق الأرض العازية تبدو السماء ، وهى صحراء أخرى زرقاء ،  
 نقية تامة النقاء ، لاتسمح فيها قطعة واحدة من السحاب .  
 ٤ - النيل ذو المياه الكدرة ، التى ينعكس الضوء فوق أديمها ، كأنما  
 هو قشرة رصاصية - يلمع مكسر الصفحة بغرس النهر ، تحت أضواء عمودية  
 شاحبة .  
 ٥ - والتامسح الشرهة إلى الاقتناص ، تكاد تنضج فى جلودها فوق  
 الرمال الملتبته للجزيرات - تغرب فى الضحك بما ترسله من الزفرات .  
 ٦ - والقطيع ، منقاره إلى حوصلته ، ساكن فوق قدمه النجيلة ، يقرأ

- على قاعدة بعض الأعمدة والألقاب المقترسة للعبود : توت .
- ٧ - والضبع بضحك ، وابن آوى يموء ، والصقر كأنه فاصلة سودام في صفحة السماء النقية - جائع يصرصر ، راسما دوائر في الهواء .
- ٨ - ولكن ضوضاء هذا القفر ، يحجبها تناوب تماثيل أبي الهول ، متعبة من احتفاظها السرمدي بالسكون .
- ٩ - ضجر خلقتة الأشعة البيضاء ، تنعكس فوق الرمال . والشمس المتلاثلة على الدوام ، وأى ضجر يشبه ما يبعثه نور الشرق الحزين ؟
- ١٠ - هنا الهواء لو يجفف يوما دمعة في عين السماء الجامدة ، والزمن متعبا يتكى على هذه القصور الصامتة .
- ١١ - ليس عندي ما يغير وجه السرمدية ، فصر في هذا العالم الذي يتغير فيه كل شيء تربع فوق عرش الثبوت .
- ١٢ - عندما يسار في الضجر ، أتخذ الفلاحين والموميات التي عاصرت رمسيس رفقاء وأصدقاء .
- ١٣ - ها أنذا أرى عمودا مائلا ، وتمثالا ضخما بلا وجه ، وزوارق ذات قلاع بيضاء ، صاعدة هابطة في النيل .
- ١٤ - كم (١) أتمنى أن لو كنت كأختي ، قد نقلت إلى باريس العظيمة ، وعرست في ميدان هناك ، قريبة منها لا تسلي .
- ١٥ - إنها ترى هناك شعبا حيا ، واقفا نقوشها ، وخطوطها المقدسة ، التي يسبح الفكر لدى قراءتها في عالم الأحلام .
- ١٦ - الفوارتان المقامتان بجانبها ، تقذفان رذاذهما الملون بالوان قوس قزح ، غبار صخرها القرمزي الذي عاد إليه الشباب .
- ١٧ - لقد تحنت مثله من الصخور الوردية بأسوان ، غير أنني بقيت في مكاني القديم . إنها حية ، أما أنا فقدمت .

أحمد أحمد بروي

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(١) هنا تقوى مجلة الأقهر على التعريب ، ولكن لعل في هذه القسوة عظة وذكرى [ المترجم ]